



الاستعمال اللغوي بين الإرسال والتلقي
-مقاربة تداولية-

Language Use between Sending and Receiving:
-A Pragmatic Approach-

أ. الحواس بلخيري[‡]

د. محمد ذبيح[§]

تاريخ الاستلام: 2020 .04 .26 تاريخ القبول: 2021.05.23

ملخص: إنّ التّداوليّة مبحث لساني ومنهج نقدي قوامه دراسة اللغة أثناء استعمالها؛ أي دراسة الكيفيّة التي يصدر بها الباث ويعي بها المتلقي فعلا تواصليا، أو فعلا كلاميا بتمكين المتخاطبين من ضمان عدم انقطاع التّواصل وتحقيق الهدف المنشود من الحوار، بيد أنّ هذا المنهج وما يوليه من اهتمام للمرسل والمتلقي من خلال العمليات التّخاطبيّة والتّواصلية بداية من إنتاج الخطاب إلى تأويل الملفوظ، ومن تفاعل قطبي التّواصل إلى ما ينتج عن هذا التّفاعل من أفعال وإنجازات، تنتج عن التّأثير الذي تصنعه المقاصد بإيعاز من مرسله ووعي من متلقيه في سياقات ومقامات معينة وسنحاول الكشف عن هذا التّفاعل من خلال عديد النظريات التي تعتبر من صميم لب الدّراسات التّداوليّة.

كلمات مفتاحية: التّداوليّة؛ الاستعمال اللغوي؛ الخطاب؛ المرسل؛ المتلقي.

[‡] جامعة ابن خلدون-تيارت، الجزائر، البريد الإلكتروني: belkheirhaouas@gmail.com.
(المؤلف المرسل).

[§] جامعة ابن خلدون-تيارت، الجزائر، البريد الإلكتروني: Moha_debih@yahoo.fr.

Abstract: Pragmatics is a subfield of linguistics and a critical approach based on studying language in use; that is to say, That is, the study of how the speech is issued and the receiver perceives a communicative act or speech act by enabling the interlocutors to have an uninterrupted communication and to achieve the goal of such a communication. However, this approach, as well as its focus on the sender and the receiver through conversational and communicative processes, starting from the speech production to the interpretation of the utterance and from the interaction of the polar communication to the acts and achievements resulting from this interaction, results from the influence that the intentions makes on behalf of the sender and the perception of the receiver in certain contexts. We will try to consider this interaction through many theories which have great importance in pragmatic studies (pragmatics).

Keywords: the pragmatics; use, language; discourse; the sender; recipient.

المقدمة: إنّ للدراسات التّقديّة وعديد المناهج المتبعة فيها دورا كبيرا في الكشف عن الظواهر اللغويّة، ومحاولة تحليلها والوصول إلى كيانها. واختلف كل منهج في طريقة معالجته للغة عامّة والخطابات بشكل خاص، فمنهم من اعتبر النّص بنيّة مغلقة يدرس في ذاته ولذاته. ومنهم من انفتح على كل العوامل التي من شأنها خدمة النّص وتشكيل مفهوماته، وتحديد معانيه ومقاصده ومن أهم العناصر المشكلة للخطاب المرسل والمتلقي الذين حظيا بوافر الدّراسة، واعتبروا كيانه حلقة لا يمكن الاستغناء عنها، لما له من أهميّة في التّوصل إلى المعاني والمقاصد واستقرارها عنده ولديه فقط، والمنهج



التداولي من بين المناهج التي انفتحت على النص واهتمت بمنتج الخطاب أيما اهتمام إضافة إلى العوامل السياقية التي ينجز فيها الخطاب، وكل ما من شأنه توجيه المعاني والمتلقي الذي هو أحد هذه العوامل، فما هي المكانة الفعلية لقطبي التواصل في قضايا الدرس التداولي؟ وما مدى تفاعل المرسل والمتلقي من إنتاج الخطاب إلى تلقيه؟ وما الذي يمكن أن يعقب تواصلها إلى ما يحققه من أفعال وإنجازات كنتاج عن العملية التخاطبية؟

-التداولية ودراسة الاستعمال اللغوي: تقوم التداولية على دراسة الاستعمال

اللغوي أو هي لسانيات الاستعمال اللغوي. وموضوع البحث فيها هو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال، الفعلي من حيث هو صيغة مركبة من السلوك الذي يولد المعنى وهو ما نستشفه من خلال بعض التعريفات التي حاولت تحييد ماهية التداولية وذلك من خلال كونها "تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم كما يعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث¹ هذا ويربط "منقونو" Maigueneau الدراسة التداولية بالسياق؛ فهو يرى أن «المكون التداولي يعالج وصف الملفوظات في سياقاتها»² حيث تسعى التداولية إلى تحديد قصد المتكلم من خلال سياق محدد. أما "جاك موشلار" Jaque Moeschler وأن ربول Anne Reboul فقد ربطا مفهوم التداولية بالمجال اللساني، ففي القاموس الموسوعي للتداولية تعرف بأنها "دراسة الاستعمال اللغوي المقابلة للدراسة النظام اللساني الذي يعد من اهتمام اللسانيات بصفة خاصة"³.

ولعلّ مصطلح التداولية من أشهر الترجمات التي حظي بها هذا العلم، وأقربها فيما يحيل عليه ميدانه؛ وذلك لأنه يُحيل على التفاعل والحوار والتخاطب والتواصل والتداول بين الأطراف المتلفظة، كما ينظر إلى التداولية على أنها تخصص لساني يحدد موضوعه في المجال الاستعمالي، أو الإنجازي ويدرس كيفية استعمال المتكلمين للأدلة اللغوية أثناء الخطاب أو الحوار في علاقة وثيقة مع المقام الذي ينتج فيه الكلام وتبحث في العلاقات القائمة بين اللغة ومتداوليها من الناطقين بها، في إطار دراسة استعمال اللغة في الخطاب. وقد أطلق على التداولية توصيفات عدة منها:

- لسانيات الحوار: لأنها تدرس استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم؛
- نظرية استعمالية (علم استعمال اللغة): لأنها تدرس اللغة في استعمال الناطقين بها؛

- نظرية تخاطبية: لأنها تعالج شروط التبليغ والتواصل الذي يقصده الناطقون؛
- نظرية التواصلية: لأنها تدرس الرسالة اللغوية في إطار عملية وصول دلالاتها إلى المتلقي؛

- نظرية الأعمال اللغوية: لأنها تدرس الفعل اللغوي من حيث البعد العملي له أي استخدامه؛

- نظرية مقامات الكلام (Speech Situations): لأنها تدرس المرسل والمستقبل والسياق والأهداف والمقاصد وقوة فعل الكلام والملفوظ⁴.

إن استعمال اللغة هو جوهر الدرس التداولي على الرغم من استناده على الوضع وقيامه عليه، على اعتبار أن الأخير هو نقطة التقاء واشتراك بين المتكلمين، "وصارت التداولية تهتم بوصف العلاقة القائمة بين المرسل والمرسل إليه أثناء التواصل، وتعنى بالحديث اللغوي لفهم قصد المتكلم".⁵

الخطاب استعمال للغة: إن الخطاب ممارسة فعلية للنصوص التي لا يمكن انكار انسجامها على مستوى معين، وذلك لأنه لا يظهر إلا مرتبطا بمقام يحفظ خصوصيته وباعتبار هذا الأخير المرتكز الأول للعملية التخاطبية، وبهذا يكون الخطاب أكثر دلالة على الاستعمال والاستخدام من النص "وبهذا فإن المقاربة التداولية تفرض نفسها على الخطاب، وليس المقاربة اللسانية الصرفة، فمقبولية الخطاب مرهونة بسياق استقباله وإنتاجه، والخطاب ليس معطيات لغوية وبنيات تركيبية ولكن صيرورة معرفية وتواصلية مما يحتم على اللسانيات أن تترك مجال الخطاب للتداوليات والخطاب موقف تفاعلي وممارسة اجتماعية تواصلية، ثقافية، دينية، سياسية... الخ باعتبار هدف أي خطاب هو "التأثير الذي لا يأتي منعزلا عن الفعل التلغفي والإنجازي، من خلال استعمال علامات لسانية وغير السانية، انطلاقا من معطيات زمانية ومكانية وحتى اجتماعية وتاريخية، مع الأخذ بعين الاعتبار"⁶.

نظرية التلّفظ:

* التلّفظ nonciation: إنّ المقصود من التلّفظ هو " الفعل الذاتي في استعمال اللغة: إنّ فعل حيوي في إنتاج نص ما كمقابل للملفوظ وهكذا يتيح التلّفظ دراسة الكلام ضمن مركز نظرية التّواصل ووظائف اللغة. ويرى (بنفست) أنّ التلّفظ هو موضوع الدّراسة وليس الملفوظ" ⁷ وبما أنّ التلّفظ هو مصطلح تداولي فهو لا يهتم بالملفوظ إلّا في الاستعمال أو التّداول ⁸؛

* الملفوظ enonce: هو المقول، ويمكن اعتباره " الموضوع اللغوي المنجز والمنغلق والمستقل عن الذات التي أنجزته" ⁹ أو هو "التّجلي الآني للخطاب المحقق في وضعية محددة، فسواء أكان منطوقا أم مكتوبا فهو موضوع ملموس محدد وقابل للملاحظة في ماديته، ويبقى موجها إلى الإحالة على العالم، وسواء أكان المرجع حقيقيا أم خياليا، لسانيا أم غير لسانيا فهو يشكل هدف التلّفظ ولا يمكن للتّحليل أن يهمله" ¹⁰. إنّ الخطاب هو ميدان استعمال اللغة، ولا يتجسد الاستعمال إلّا من خلال عملية قولية تسمى عملية التلّفظ بالخطاب؛ فالتلّفظ هو التّشّاط الأساسي الذي يمنح استعمال اللغة طابعها التّداولي، بوصفه نقطة التّحول بالممارسة الفعلية لها، ممّا يبلور عناصر السّياق في الخطاب: من مرسل ومرسل إليه، كما أنّه يتحدد به القصد والهدف ¹¹.

النّظرية التّواصلية: ويعرف التّواصل كما أورده "شارل كولي" (Charles Cooly) على أنّه: "الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور، إنّها يتضمن كل رموز الدّهن مع وسائل تبليغها عبر المجال وتعزيزها في الزّمان، ويتضمن أيضا تعابير الوجه وهيئات الجسم والحركات ونبرة الصّوت والكلمات والكتابات والمطبوعات والقطارات والتّلفون وكلّ يشمله آخر ما تم في الاكتشافات في المكان والزّمان" ¹².

والتّواصل في أغلب التعاريف الاصطلاحية: هو عملية نقل خبر أو إقامة علاقة مع شخص ما، وبصورة أوضح، إخباره بأمر ما وإطلاعه عليه، والمهم في هذا السّياق هو كون التّواصل " عملية نقل معلومات من متكلم، باعتباره مصدر المعلومات، إلى مخاطب، باعتباره هدفا للعملية التّواصلية، وهذا يعني أنّ التّواصل عبارة عن سيرورة

تبادل ادلة بين ذات مرسله، وذات مستقبلة، حيث تنطلق الرسالة من الذات الأولى نحو الذات الثانية، وتقتضي هذه العملية جوابا صريحا او ضمنا وأنبه في هذا المقام إلى ما بين التعريفين من فروق. إنَّ التعريف السابق يخلو تماما من مفهوم التبادل الموجود في التعريف الحالي وهو الشيء الذي أكدت، من قبل، على ضرورة إخذه في الحسبان¹³.

يعدّ اللساني رومان جاكسون مؤسس المقاربة التواصليّة أو التّليغيّة " وذلك بحصره مكونات العمليّة التّليغيّة في ستة عناصر هي: المرسل، والمتلقي، والوضع، والمرجع والقناة، والخطاب، وقد أسند لكل عنصر من هذه العناصر وظيفة، فالوظيفة التّعبيريّة للمرسل، والوظيفة الإفهاميّة للمتلقي¹⁴ وسنسلط الضّوء على هاتين الوظيفتين بشكل خاص فيما يلي:

- الوظيفة التّعبيريّة: تتمحور هذه الوظيفة حول المرسل في تعبيره المباشر عن موقفه إمّا بتكلم عنه أو يكتبه، وعن شعوره الانفعالي سواء أكان هذا الشعور صادقا أم كاذبا. ولذلك فاهميّة هذه الوظيفة تتجلى في الانطباع الذي يبين لنا إحساس المرسل تجاه ما تحدث عنه، أو ما يتواصل بشأنه¹⁵؛

- الوظيفة الإفهاميّة: Conative ترتبط بالمرسل إليه) المتلقّي، ويكثر في هذه الوظيفة الضّمير (أنت)، والغرض منها هو لفت انتباه المتلقي والتأثير فيه قصد إقناعه بالأراء والأفكار والقضايا التي تحملها الملفوظات والنصوص. ومقصد الإقناع هذا يستلزم فعاليّة لغويّة ومنطقيّة، تنظم الخطاب بطريقة خاصّة، تؤثر في المتلقي، وتجعله بعيد النّظر فيما كان يحمله من أفكار ومعتقدات، ودفعه إلى التّحرك واتخاذ مواقف: الوعظ والإرشاد والتّهديد والقيام بالدّعاية، أو بحملة انتخابيّة...¹⁶ وتعتبر هذه الوظيفة من أهم الوظائف، وغيرها يتمحور حولها، وذلك لأنّ التّليغ هو الماهيّة الأولى للغة. وللتداوليّة دور بارز في ربط العناصر الأساسيّة للعمليّة التّواصليّة، أو ما يعرف بالأقطاب التّواصليّة الثلاثة المتمثلة في: المرسل، المتلقي، والخطاب،¹⁷ وتفرض الكفاءة التّداوليّة نفسها أثناء التّواصل حيث يشترك فيها المرسل والمتلقي للخطاب مشترك بينه وبين المتلقي للخطاب، حيث يجب على هذين القطبين مراعاة المعايير والمبادئ



الأساسية التي ترسل وتستقبل عند إنتاج الخطاب، فالتداولية تهتم بوصف العلاقة القائمة بين المرسل والمتلقي أثناء العملية التواصلية.

عناصر العملية التخاطبية: إن الخطاب في مفهومه الشامل وبما جاد به أغلب أهل الدراسات اللغوية هو كل تلفظ يفترض متكلماً ومستمعاً وعند الأول نية التأثير في الثاني بطريقة ما، لذا هو تبادل كلامي ميزته التفاعل والتأثير في الآخر، أو كما يراه طه عبد الرحمن أنه "كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً"¹⁸ ويقتضي ذلك اشتراك طرفين هما: المتكلم الذي يقصد معنى ويريد إبلاغه لمخاطبه. ومخاطب أو متلقي يحاول الوصول إلى قصد المتكلم من خلال خطاب معين ويمكن التفصيل في هذه العناصر بما يلي:

(1) المرسل: المرسل هو الطرف الذي يتولى مهمة توجيه مجموعة من العلامات الحاملة لمعان محددة فصد إثارة رد فعل معين لدى طرف خارجي (المخاطب)، أي أنه هو مصدر الرسالة، ويكون إما شخصاً أو جماعة أو جهازاً، وقد يكون مرسلًا ومتلقيًا في الآن نفسه كما هي الحال في الخطاب الداخلي (monologue)، كما أن المرسل هو "أحد المرتكزات الأساسية في التداولية التي تبحث في معنى المتكلم وقصده ونواياه في الخطاب"¹⁹.

(2) المتلقي: المخاطب بفتح حرف الطاء، أو المستمع في المنطوق والقارئ في المكتوب، وينتدب في المتلقي السامع الاستعداد والتهيؤ لقبول التواصل والاستمرار فيه وحضور الذهن، والإقبال على المتكلم، والإنصات، وتقبل الخطاب، والتجاوب مع قائله والتأدب، وتعزيز القائل، وتحفيزه بتعبير الوجه والحركة والإشارة. إذا كان المتكلم هو منتج الخطاب، فإن المخاطب هو من يساعده على إنتاجه، ولذلك يجب على المتكلم أن يضعه في اعتباره، ويفكر في كيفية بناء خطابه؛ "لأن نجاحه مرهون بمعرفة حال المخاطب، إذ العناية في المقام الأول موجهة إلى المرسل إليه"²⁰، وهذا ما يحيلنا إلى أن المتلقي يسهم مع المتكلم في تشكيل الفعل الاتصالي، وهو المسؤول عن تأويل الخطاب.

3) الخطاب: يتمثل الخطاب في القول المنطوق، ويكون إما مشافهة عن طريق التّسميع بالتحدّث أو المحاورّة أو المناقشة... وإمّا يكون الخطاب مكتوبا عن طريق أداة كتابة، ويتمثل في الرّسائل والإعلانات وتأليف الكتب وغيرها الكثير، "ويستحب في الخطاب الفصاحة السّبك والحبك...²¹، ويتنوع الخطاب بتنوع حملته المعرفيّة فيكون خطابا أدبيا أو سياسيا أو تاريخيا أو علميا... إلخ. الخ باعتبار هدف أي خطاب هو "التأثير الذي لا يأتي منعزلا عن الفعل التّلفظي والإنجازي، من خلال استعمال علامات لسانيّة وغير السانيّة، انطلاقا من معطيات زمانيّة ومكانيّة وحتى اجتماعيّة وتاريخيّة مع الأخذ بعين الاعتبار²².

نظرية أفعال الكلام: للفعل الكلامي Speech act أهمية كبيرة في جل الأعمال التّداوليّة، وفحواه أنّه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ويعتبر أيضا نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قوليّة Actes Locutoires لتحقيق أغراض إنجازيّة Actes illocutoires (كالطلب والأمر والوعد والوعيد... الخ)، وغايات تأثيريّة Actes Perlocutoires تخصّ ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول)، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب على عدة مستويات، ومن ثم إنجاز المراد منه²³. ومما سبق فقد ميز أوستين بين ثلاثة أفعال نورها مفصلة كالآتي²⁴:

1- الفعل القولّي: (إنتاج الأصوات، والإشارات الخطيّة، والوحدات التّركيبية...) أي كل العناصر اللسانيّة من أصوات ومعجم، وما يتعلّق بالروابط التي تصل الوحدات النّصيّة فالفعل القولّي في النّص هو ما ينتجه المخاطب كنص يحتوي على سلسلة من جمل ووحدات تركيبية.

2- الفعل الإنشائي الإنجازي: يتلازم مع القيمة التّلفظيّة ذاتها، وهو كذلك إنتاج ملفوظ حيث يعبر عن نوع من القوة من خلال القول ذاته. وإنّ الفعل المرتبط بما هو منجز بقولنا ما نقول، لا يتحقق إلّا إذا اعترف المتلقي بالقصد، الذي ينوي المتكلّم إيصاله وليس قصدا آخر، يتكون هذا الفعل في النّص من سلسلة من الأفعال الإنجازيّة، التي يمكن أن تحتوي على فعل إنجازي محوري، أو أنّها تبنيه أو تنتجه.



3-الفعل التأثيري: (بمعنى خلق الآثار في وضعيّة معينة)، بالنسبة المانقونو/ Maingueneau فإنّ الميدان التأثيري خارج عن الإطار اللغوي المحض بمعنى خلق ردة فعل تقديرية ازاء النص ذاته، وكذلك من خلاله ازاء العالم، وتأثير الكاتب أو المخاطب على جمهوره المستمع واستمالتهم أو تقبلهم واعجابهم لمختلف أفكاره يشكل صورة من صور الفعل التأثيري.

-**المحادثة تفاعل بين المتخاطبين:** إنّ مقياس غرايس في مبادئ المحادثة، هو مقياس مهم في نجاح العملية التخاطبية، ويعدّ مقياس غرايس لمبادئ المحادثة معيارا هاما قدمه النداوليون في محاولة ضمان حد أدنى لنجاح العملية التخاطبية، وذلك لاعتباره أن المحادثة مشاركة وتفاعل بين المتخاطبين، فقد وضع "مبدأ التعاون الذي يقتضي أن المتكلمين متعاونون في تسهيل عملية التخاطب، وهو يرى أنّ مبادئ المحادثة المتفرعة عن مبدأ التعاون هي التي تفسر كيف نستنتج المفاهيم الخطابية"²⁵. وهذه المبادئ هي²⁶:

- مبدأ الكم (Quantité): أن يكون الخطاب غنيا بالأخبار بشكل كاف فقط فنحدث بالقدر الذي يضمن تحقق الغرض؛
- مبدأ الكيف (Qualité): أن يكون الخطاب حقيقيا، صادقا، فلا نقل ما نعتقد أنّه كاذب ولا نقل ما لا نستطيع البرهنة على صدقه؛
- مبدأ المناسبة Modalité: الوضوح وعدم الابهام في الكلام أي: "أن يكون كلامنا مناسباً لسياق الحال"؛
- مبدأ الأسلوب: تجنب إبهام التعبير واللبس مع الإيجاز وترتيب الكلام. إنّ لهذه القوانين دورا بارزا في فهم تأويل الملفوظات، فهي مجموعة من المعايير التي يجب على المتخاطبين احترامها من اللحظة التي يشاركون في فعل التواصل الكلامي، يربطها "جريس" بقانون أكبر ويدعوه به مبدأ التعاون" الذي يبنّي عليه كل تفاعل لغوي والذي ينقسم إلى عدة أبعاد ومن أهمّها: الصدق، الشمولية، الوضوح وتتأسس على السنن اللساني وعلى سنن من المواضع"²⁷.

إنّ البحث عن قوانين الخطاب يعني البحث عن إنجاز العمليّة التّواصلية، بحيث كلما احترمت هذه القوانين كلما استطاع المشاركون الوصول إلى أغراضهم دون عوائق. تعدّدت هذه القوانين في طبيعتها وفي أهدافها إلا أنّ المشكل كامن في شروط تطبيقها إلى جانب تشابكها في بعض الخطابات.

بيدّ أنّه "يؤدي مبدأ التّعاون إلى التّواصل والتّفاعل فيما بيننا مهما كانت الظروف المعتمدة والأهداف المتوخاة، فانطلاقاً من ممارستنا للغة، نجد أنفسنا في دائرة التّفاعل سواء بطريقة مباشرة أم بطريقة غير مباشرة، وسواء رغبتنا في ذلك أم لم نرغب، من هذا الجانب يقتضي الفعل التّواصل من المتخاطبين عمليتين متوازيتين: الإنتاج والتّأويل، يحيل الإنتاج إلى التّلفظ الذي يرتبط بالمتكلم بالدرجة الأولى، في حين يتطلب التّأويل من المتلقي الاستناد إلى عدة وسائل لسانية وغير لسانية"²⁸.

أنّ المتلقي إلى جانب المرسل هما قطبا العمليّة التّخاطبية ويقتضي التّعاون بينهما من أجل نجاح التّخاطب والوصول إلى الغايات المتوخاة من الخطاب فبقدر تعاونهما تزول عوائق الفهم، وتكون المعاني والمقاصد أوضح، ويظهر التّفاعل والتّداوت بين المرسل والمتلقي في أبلغ الصّور.

القصدية والتّأويل: من مجالات اهتمام المنهج التّداولي عمله على "دراسة المعني كما يوصله المتكلم أو (الكاتب) ويفسره المستمع (أو القارئ)؛ لذا فإنها مرتبطة بتحليل ما يعنيه النّاس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة، فالتّداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم"²⁹.

كما تسعى التّداولية pragmatics أيضاً إلى دراسة "الكيفية التي يصوغ من خلالها المستمعون استدلالات حول ما يقال للوصول إلى تفسير المعنى الذي يقصده المتكلم. ويبحث نوع الدّراسة هذا في كيفية إدراك قدر كبير ممّا لم يتم قوله على أنّه جزء ممّا يتم إيصاله. بإمكاننا القول أنّه دراسة المعنى غير المرئي invisible meaning. التّداولية هي دراسة كيفية إيصال أكثر ممّا يقال"³⁰.

بيدّ أنّ "المؤول" L' interpretant كما ورد عند "بيرس" Peirce هو في جوهره "مركز تعريف التّداولية، فإذا انطلقنا منه يمكن أن نبني نظرية للكفاءة التّواصلية والتي تفسر



الطرق التي يمارسها المرسلون والمتلقون لغرض الفهم والإفهام، أو ما يمكن أن يتبلور في أفعال الكلام³¹.

يركز النموذج الاستدلالي على أهمية القصد من خلال عملية التواصل، ويشارك في هذا القصد كل من المتكلم، والمخاطب؛ وذلك لأن تحقيق التفاعل المطلوب في أي تواصل يشترط أن يشارك المخاطب المتكلم في هذه القصدية، وهو على حال المستمع أي أن يتحقق ما يسمى بالتفاعل الخطابى الذي يعدّ الأصل في الكلام³².

ويظهر لنا جليا من منظور غرايس في قضية القصد أنه لا بد من أن "يرتكز التواصل الفعلي على نوع من الذاتية المتبادلة، المتمحورة حول خلق استدلالات (inferencias) من جانب المستقبل، فيتمكن هذا الأخير من التعرف بالشكل المطلوب على أنّ القول ينطوي على قصد المرسل بأن يجعل التعرف عليه ممكنا كقول مقصود وبأن يسمح بتأويل محدد، وبحسب فكرة غرايس، يركز التواصل على توقعات المتكلم بأن محاوره يمكنه أن يكتشف عن طريق استخدام قول محدد من طرف المتكلم، حقيقة القصد التواصلى لهذا الأخير، والتواصل يتضمن في الوقت نفسه قصد المتكلم، وتعرف المستمع على قصد المتكلم³³.

إنّ عملية التأويل هذه لا تتركز فقط على الملفوظات وحدها؛ أي لا تقوم على ما هو ملفوظ به فقط، وإنما تقوم أيضا على المعرفة المشتركة، وعلى عملية التألف (كيفية التألف). وبخصوص أهمية المعرفة المشتركة يقول جورج لايفوف ومارك جونسون (George LAKOFF, Mark JOHNSON): (فعندما لا يشترك الناس الذين يتحاورون نفس الثقافة، ونفس المعرفة، ونفس القيم، ونفس المسلمات، فإنّ الفهم المتبادل يكون صعبا. وإنّ هذا الفهم يكون ممكنا من خلال التفاوض بشأن المعنى...).

ومن خلال ذلك، فعملية التأويل تقوم على:

- الملفوظ؛
- التألف؛
- المعرفة المشتركة.

وتظل المعرفة المشتركة، دائمة الحضور، وذلك في مقابل التلّف، الذي قد يغيب ويحضر الملفوظ»، أو العكس، أي أن يحضر الملفوظ، ويغيب التلّف. وتبعاً لذلك تختلف نتائج الاستدلال باختلاف المقدمات³⁴.

فالمستوى الثقافي الذي يمكن أن يحظى به المتلقي على الخصوص، يمكن أن يشكل خلفية مرجعية سياقية لإحالات النص، وتعدّد مناطق تأويلية، والقدرة على الكشف في مكوناته وأبعاده وسياقاته وبشكل بعدا سياقيا ثقافيا عميقا في عملية التلقي³⁵. ثم إنّ الحالة النفسية التي تحكم المتلقي لحظة القراءة والتلقي تعتبر سياقاً نفسياً يحصر حالات التأويل بالنظر إلى النص في أبعاد تلك الحالة وخصائصها كالحزن والفرح والغضب³⁶. ويظهر لنا ممّا سبق أنّ عملية الاستدلال والوصول إلى القصد وتأويل الملفوظات تشترك فيه عدة عوامل، وكما يجب على المتكلم الحرص على إيصال مقاصده من خلال ملفوظات يرسلها، فإنّ المتلقي له الدور البارز في تأويل هذه الملفوظات، فعجز المتلقي إحباط لعملية التأويل.

-نظرية الحجاج: إنّ نظرية الحجاج تنطلق من قضية أنّ اللغة بعدا حجاجيا ثم إنّ "هذه النظرية التي وضع أسستها اللغوي الفرنسي اوزفالد ديكرود منذ سنة 1973 نظرية لسانية³⁷ أي أنّها تهتم بدراسة الوسائل اللغوية حيث انطلق ديكرود من فكرة أنّنا نتكلم بقصد التأثير.

ويذهب بيرلمان إلى أنّ أنجع الحجاج هو الذي يوفق في تقوية إذعان المتلقي، ممّا يؤدي به إلى إنجاز عمل ما، أو تركه، ويكون ذلك إما عن طريق البرهنة: حيث يقوم الفيلسوف بالبرهنة والاستدلال، ليصل بجمهوره إلى تبيان الحق لا الحقيقة، أو على سبيل الحجاج البلاغي، وهو أوسع من الأوّل، ويهتم بدراسة التقنيات البيانية³⁸.

- الخطاب الحجاجي بين المرسل والمرسل إليه: إنّ الخطاب الحجاجي بين المرسل والمتلقي، يمكن تحقيق أغراضه في أسمى صورة بشكل تام بين بواسطة المعارف والخبرات المشتركة بين المتخاطبين؛ فالخطاب الحجاجي قد يكون صارماً دقيقاً، وقد يفتقر أحيانا إلى هذه الصرامة ويتحكّم في ذلك عدة عوامل منها الكفاءة التي تفرض حضورها على مرسل الخطاب وذلك لأن الهدف كما رأينا "هو إقناع المتلقي أو إغرائه



أو حملة على الإذعان دون اقتناع حقيقي، ونجاعة هذا الخطاب إنما تكمن في مدى قدرته على اقتحام عالم المتلقي وتغييره³⁹. ثم إن اللغوي "بيرلمان Perelman" قد أكد في هذا المجال على أهمية مسألة الحجاج فيما يخص قضية "التفاعل" (Interaction) و"التحاور" (Dialogique) بين الإرسال والتلقي في كل الخطابات الحجاجية.

ويمكن إدراك كيفية تحقيق هدف الحجاج من خلال تفاعل عناصر العملية التواصلية، إذ يجب:

1- يجب على المرسل أن يكون ذا كفاءة إبلاغية تساعد على اختيار الألفاظ التي تحوي وتجسد الأفكار والآراء التي يتبناها، ل طرحها ومشاركة غيره لها، حتى اقتناعهم ونحو ما يراه لهم، وكمثال لذلك المحامي المدافع عن موكله، وما يستعمله من تقنيات تمكنه من التعامل مع مختلف المتلقين.

2- أن يكون المتلقي الذي تقع عليه الممارسة الحجاجية هو هدف المرسل المحاجج، سواء كان هذا المتلقي شخصاً، أم جمهوراً، أو جماهير متعددة، فالواحد منهم يحمل من الخصائص ما يحمله غيره، حتى إذا كان المرسل متلقياً يريد إقناع ذاته بذاته.

3- الحجة المدافع عنها من طرف المرسل هي الرأي الذي سيقنع به المتلقي، والذي يمرره من خلال الحوار الجدلي، بآلية للتفكير الحجاجي، ويمكن أن تكون الحجة كتابية (كلمة، رسالة، كتاب أو رسالة توجيهية)، أو شفوية (الإذاعة أو الهاتف على سبيل المثال)، أو عن طريق الصورة.

4- سياق التلقي: ويتمثل في مجموعة الآراء والقيم والأحكام التي يتشاركها جمهور معين، وهو سابق وممهّد للفعل الحجاجي وحاصر أثناءه، ويلعب دوراً في استقبال الحجة، في تقبلها أو رفضها وفي تبنيها إن اختلفت درجة التبني من شخص لآخر⁴⁰.

خاتمة: يمكن ان نخلص من خلال هذا الموجز إلى أن استعمال اللغة هو جوهر الدرس التداولي، وأنّ جل قضاياها تنطلق من بداية ارسال الخطاب، وتتعداه إلى ما بعد تأويله وفهم مقاصده؛ أي إلى ما ينتج من أفعال تأثيرية، وما يتحقق من إنجازات فعلية

- يرجوها المرسل فيوجدتها المتلقي، وقد فرض الخطاب مسألة الاستعمال ليشارك طرفيه من خلال مقامات معينة تسهم في كل ماله صلة بنجاح الخطاب، وهو ما جعل من المنهج التداولي يولي بالغ الأهمية للمرسل والمتلقي وقد أقرت هذه الدراسة بأن:
- لفظ تداول من الصيغة الصرفية تفاعل يفيد معنى المشاركة بين طرفين أي (المرسل والمتلقي)، وهذا ما يدل على لزوم استعمال اللغة لتحقيق التفاعل و بروز تداولية الفعل اللغوي؛
 - المرسل المتلقي هما ركيزتا التواصل اللساني، ولا يمكن اكتمال حلقاته إلا بهما. فلا تواصل ولا أهداف لهذه العملية إلا بحضورهما الفعلي؛
 - المتلقي إلى جانب المرسل هما قطبا العملية التخاطبية ويقتضي التعاون بينهما من أجل نجاح التخاطب والوصول إلى الغايات المتوخاة من الخطاب، فبقدر تعاونهما تزول عوائق الفهم، وتكون المعاني والمقاصد أوضح، ويظهر التفاعل بين المرسل والمتلقي في أبلغ الصور؛
 - المتلقي هو الذي يقوم بعملية الاستدلال والوصول إلى القصد وتأويل الملفوظات فكما يجب على المتكلم الحرص على إيصال مقاصده من خلال ملفوظات يرسلها فإن المتلقي له الدور البارز في تأويل هذه الملفوظات، فعجز المتلقي إحباط لعملية التأويل؛
 - المرسل والمتلقي يقيمان بمجموعة من العمليات النفسية والإدراكية، أما الأول قبل الخطاب وأثناءه، أما الثاني فأثناءه وبعده.
 - المتلقي هو الذي يعمل على كشف خرق مبادئ التعاون التي يكون المرسل قد تعمدتها في خطابه، وذلك من خلال تلقيه للخطاب ليظهر له بعد لك المعاني المستلزمة ويدركها في سياقات معينة؛
 - يسعى المرسل بواسطة خطابه إلى التأثير على المتلقي، لإحداث رد فعل أراده وتقصده، وقد يختلف تجلي هذا التأثير بحسب فاعلية الخطاب الحجاجي، وكفاءة مرسله، وطريقة تلقيه وتقبله.



المراجع والمصادر:

المؤلفات:

- (1) ابن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية، تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي - ليبيا، ط1، 2004.
- (2) ابو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، منتديات سور الأزيكية، ط1، 2006م.
- (3) أسعد خلف العوادي، سياق الحال في كتاب سيبويه، دراسة في النحو والدلالة دار الحامد، عمان، الأردن، ط1، 2011م.

- (4) جاك موشر وأن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين: المجدوب، عز الدين، إشراف: ميلاد، خالد، المراجعة بإشراف: عز الدين المجدوب، دار حل سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010م.
- (5) جورج ويول، التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون الرباط-المغرب-، ط1، 2010.
- (6) الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، 1992م.
- (7) حسن بدوح، المحاوره - مقارنة تداولية - ، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن 2012.
- (8) دومينيك منقونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط:01، 2005-2006م.
- (9) ذهبيّة حمو الحاج، قوانين الخطاب في التّواصل الخطابي، مجلة الخطاب العدد:02، 2007م.
- (10) سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، علم الكتب الحديث، ط2008، 1م، ص32.
- (11) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، ط1 المغرب، 1998م.
- (12) عمر أوكان، اللسانيات والتواصل، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب ط1، 2001.
- (13) فاطمة الشّيدي، المعنى خارج النصّ - أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب دار نينوى، دمشق، 2011م.
- (14) محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي ليبيا، ط:01، 2004م.



15) محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة: دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 2013.

16) مسعود صحراوي، لتداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان.

المقالات:

1) حسن بدوح، آليات الاستدلال على المعاني الضمنية في اللغة العربية، مجلة اللسانيات وتحليل الخطاب، المغرب، عدد: 02، 2015م.

2) ذهبيّة حمو الحاج، إشكالية النص في اللسانيات التداولية، مجلة المخبر/تيزي-وزو، 2015.

3) زينب عادل محمود الشمري، قواعد التخاطب اللساني في معاني القرآن للفراء (ت 207هـ) (دراسة تداولية)، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية جامعة بابل، العدد: 32، 2017م.

4) عليّة آيت بوجمعة، التداولية دراسة في المجال والفروع، مجلة الممارسات اللغوية، العدد، 2016م.

5) غالية عرابي، التداولية بين الاتجاه اللساني وتحليل الخطاب، مجلة دراسات معاصرة، تيسمسيلت- الجزائر، 2018.

6) ليندة حمودي وذهبيّة حمو الحاج، الحدث الكلامي والاتجاه النصي التداولي، مجلة اللغة العربية، عدد 14، مجلد 21، 2019م.

7) محمد إسماعيل بصل وفراس خليل سعيد، النظرية الحجاجية في البلاغة الغربية: أعلامها وتقنياتها، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية -سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (40)، العدد (6)، 2018م.

8) محمد سالم سعد الله، من الحدث اللغوي إلى التواصل التقني، مجلة ديالى العدد 58، 2013.

- 9) هدى عبد الغني باز، في العلاقة بين تحليل الخطاب والتداولية - نموذج تطبيقي من جريدة التّكيت والتّكيت-، مجلة جسور ع1، القاهرة. الرسائل والأطروحات الجامعية:
- 1) حورية رزقي، لغة الخطاب التربوي بين التّليغ والتّداول، أطروحة دكتوراه في علوم اللسان العربي، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب واللغات. بسكرة الجزائر، 2015م. المؤلفات الأجنبية:
- Philippe breton, L'argumentation dans la communication -Alger -Casbah édition-1998 , p 18 .

الهوامش:

- ¹ الجبالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر، 1992م، ص: 01.
- ² دومينيك منقونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط: 01، 2005-2006م، ص: 98.
- ³ جاك موشر وأن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين: المجدوب، عز الدين، إشراف: ميلاد، خالد، المراجعة بإشراف: عز الدين المجدوب، دار حل سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010م، ص: 21.
- ⁴ محمد سالم سعد الله، من الحدث اللغوي إلى التّواصل التقني، مجلة ديالي، العدد 58 2013، ص: 690-691.
- ⁵ عرابي غالية، التداولية بين الاتجاه اللساني وتحليل الخطاب، مجلة دراسات معاصرة تيسمسيلت-الجزائر-2018، ص 42.
- ⁶ هدى عبد الغني باز، في العلاقة بين تحليل الخطاب والتداولية - نموذج تطبيقي من جريدة التّكيت والتّكيت-، مجلة جسور ع1، القاهرة، ص3.



- ⁷ ابن ظافر الشهرري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية، تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة بنغازي - ليبيا، ط1، 2004 ص28.
- ⁸ علجية آيت بوجمعة، التداولية دراسة في المجال والفروع، مجلة الممارسات اللغوية، العدد 2016م، ص174.
- ⁹ ابن ظافر الشهرري، المرجع نفسه، ص28.
- ¹⁰ حمو الحاج ذهبية، إشكالية النص في اللسانيات التداولية، مجلة المخبر/تيزي-وزو 2015 ص38.
- ¹¹ ابن ظافر الشهرري، المرجع نفسه، ص27.
- ¹² عمر أوكان، اللسانيات والتواصل، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء-المغرب، ط1 2001 ص65.
- ¹³ حسن بدوح، المحاور - مقارنة تداولية - عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012 ص21.
- ¹⁴ رزقي حورية، لغة الخطاب التربوي بين التبليغ والتداول، أطروحة دكتوراه في علوم اللسان العربي، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب واللغات. بسكرة، الجزائر، 2015م، ص: 60، 61.
- ¹⁵ حسن بدوح، المرجع نفسه، ص48.
- ¹⁶ حسن بدوح، المرجع نفسه، ص50.
- ¹⁷ عرابي غالية، التداولية بين الاتجاه اللساني وتحليل الخطاب، مجلة دراسات معاصرة تيسمسيلت-الجزائر-2018، ص 42.
- ¹⁸ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1 1998م، ص15.
- ¹⁹ أسعد خلف العوادي، سياق الحال في كتاب سيبويه، دراسة في النحو والدلالة، دار الحامد عمانالأردن، ط1، 2011م، ص62.
- ²⁰ عبد الهادي بن ظافر الشهرري، المرجع نفسه، ص: 47-48.
- ²¹ محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة: دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، دار النشر للجامعات، القاهرة ط1، 2013، ص: 30.
- ²² عرابي غالية، المرجع نفسه، ص 42

- ²³ مسعود صحراوي، لتداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، د ط، ص.40.
- ²⁴ ليندة حمودي وذهبية حمو الحاج، الحدث الكلامي والاتجاه النصي التداولي، مجلة اللغة العربية، عدد14، مجلد21، 2019م، ص 140
- ²⁵ محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط:01 2004م، ص:99.
- ²⁶ محمد يونس علي، المرجع نفسه، ص:99، 100.
- ²⁷ ذهبيّة حمو الحاج، قوانين الخطاب في التّواصل الخطابي، مجلة الخطاب، العدد:02 2007م، ص:223.
- ²⁸ ذهبيّة حمو الحاج، المرجع نفسه، ص:220.
- ²⁹ جورج ويول، التّداوليّة، تر: قصي العتّابي، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، الرباط-المغرب- ط1، 2010، ص:19.
- ³⁰ جورج ويول، المرجع نفسه، ص19.
- ³¹ ذهبيّة حمو الحاج، المرجع السّابق، ص:220.
- ³² حسين بدوح، المرجع نفسه، ص:160.
- ³³ زينب عادل محمود الشّمري، قواعد التّخاطب اللساني في معاني القرآن للفراء (ت 207هـ) (دراسة تداولية)، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد: 32، 2017م، ص:420.
- ³⁴ حسن بدوح، آليات الاستدلال على المعاني الضمنية في اللغة العربية، مجلة اللسانيات وتحليل الخطاب، المغرب، عدد:02، 2015م، ص:88.
- ³⁵ فاطمة الشّيدي، المعنى خارج النّص - أثر السّياق في تحديد دلالات الخطاب، دار نينوى دمشق، 2011م، ص:111.
- ³⁶ فاطمة الشّيدي، المرجع نفسه، ص:112.
- ³⁷ ابو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، منتديات سور الأزيكية، ط1، 2006م، ص14.
- ³⁸ محمد إسماعيل بصل وفراس خليل سعيد، النّظرية الحجاجية في البلاغة الغربية: أعلامها وتقنياتها، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلميّة - سلسلة الآداب والعلوم الإنسانيّة المجلد (40)، العدد (6) 2018م، ص275.



³⁹ سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيتة وأساليبه، علم الكتب الحديث، ط1، 2008م، ص32.

⁴⁰ Philippe breton, L'argumentation dans la communication -Alger - Casbah édition-1998 , p 18 .